

# النصر

## عناصر الموضوع

١٧٢	مفهوم النصر
١٧٣	النصر في الاستعمال القرآني
١٧٥	الألفاظ ذات الصلة
١٧٧	الله سبحانه وتعالى خير الناصرين
١٧٩	أنواع النصر
١٨١	سنن النصر وقواعده
١٨٧	أسباب النصر
١٩٨	عوائق النصر
٢٠٧	المعبودات من دون الله والنصر
٢٠٩	مبشرات النصر
٢١٤	ثواب الناصرين

## مفهوم النصر

## أولاً: المعنى اللغوي:

النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نَصْرًا، وانتصر: انتقم، وأما الإتيان فالعرب تقول: نَصَرْتُ بلد كذا: إذا أتيتَه، ويسمى المطر نَصْرًا، ونصرت الأرض، فهي منصوره، والنصر: العطاء، والنصر: العون<sup>(١)</sup>.

نَصَرَهُ على عَدُوِّهِ، يَنْصُرُهُ نَصْرًا، والاسم النَّصْرَةُ، والنَّصِيرُ، والناصِرُ، وجمعه أنصارٌ كشریف وأشرافٍ، وجمع الناصر: نصرٌ كصاحبٍ وصحبٍ، واستنصره على عدوه: سأله أن ينصره عليه، وتناصر القوم: نصر بعضهم بعضًا، والنصارى جمع نصرانٍ ونصرائة<sup>(٢)</sup>.

## ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف النصر في معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فهو يتضمن عدة معانٍ، منها: العون، والتأييد، والعطاء، ودفع الضر، فنصر فردٌ أو جماعة يشمل إعانتهم بالقول أو الفعل، وتأيدهم بالقول أو الفعل، وإعطاءهم ما ينصرهم، ويدفع الضر عنهم، وإلى هذا أشار الشوكاني رحمه الله بقوله: «هو التأيد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبيهم والاستعلاء عليهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٣٥/٥، مجمل اللغة، ابن فارس ١/ ٨٧٠.

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٣٠٥.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٥٠٩/٥.

## النصر في الاستعمال القرآني

وردت مادة (نصر) في القرآن الكريم (١٥٥) مرة، يخص موضوع البحث منها (١٤٠) مرة<sup>(١)</sup>.

والصبيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١٥	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمِ ادْلَةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]
الفعل المضارع	٤٣	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يُنصِرْكُمْ وَيُغْنِيَكُمْ عَنْكُمْ﴾ [محمد: ٧]
فعل الأمر	٨	﴿وَتَكُنَّ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]
المصدر	٢٢	﴿إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]
اسم الفاعل	١٥	﴿قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]
الجمع	١١	﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]
الصفة المشبهة	٢٤	﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]
اسم المفعول	٢	﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقِتَالِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]

وجاء النصر في الاستعمال القرآني على أربعة أوجه<sup>(٢)</sup>:

الأول: المنع: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤَخِّدْ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]. يعني: ولا هم يمتنعون.

الثاني: العون: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيُنصِرْكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ﴾ [الحج: ٤٠].

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم، باب النون، ص ١٣٢٥-١٣٢٨.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الداغاني، ص ٤٥٣، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص ٥٨٦-٥٨٧.

- الثالث: الظفر: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَّصِرُ﴾ يعني: وما الظفر ﴿إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].
- الرابع: الانتقام: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الشورى: ٤١]. يعني: انتقم.

## الألفاظ ذات الصلة

## ١ الفتح:

الفتح لغةً:

الفاء والتاء والحاء أصلٌ صحيح يدل على خلاف الإغلاق. يقال: فتحت الباب وغيره فتحًا. ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء. فالفتح والفتاحة: الحكم، والله تعالى الفاتح أي: الحاكم.

والفتح: الماء يخرج من عين أو غيرها، والفتح: النصر والظفر، واستفتحت: استنصرت<sup>(١)</sup>.  
الفتح اصطلاحًا:

إزالة الإغلاق والإشكال؛ بصراً وبصيرة<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين النصر والفتح:

النصر: الإغاثة والإظهار على العدو، والفتح: إظهار على العدو بفتح البلاد دون إغاثة<sup>(٣)</sup>.

## ٢ ظفر:

ظفر لغةً:

الظاء والفاء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على القهر والفوز والغلبة، والآخر على قوة في الشيء، ولعل الأصلين يتقاربان في القياس، والظفر: الفوز، وأصله من: ظفر عليه. أي: نشب ظفره فيه<sup>(٤)</sup>.

ظفر اصطلاحًا:

غلبة وقهر الآخرين بالقوة والسيطرة عليهم.

الصلة بين النصر والظفر:

النصر: هو العلو على المنازع والخصم والمناوئ المشاغب ككل، الظفر: العلو على المنازع قد يكون واحداً أو أكثر<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٤٦٩.

(٢) انظر: مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٦٢١.

(٣) انظر: الكشف، الزمخشري ٤/٨١٠.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/٦٦، المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٣٥.

(٥) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص ١٨٩.

٣ الفوز:

الفوز لغةً:

الفاء والواو والزاي كلمتان متضادتان، فالأولى: النجاة، والأخرى: الهلكة. فمن الأولى قولهم: فاز يفوز، إذا نجا، وهو فائز، وفاز بالأمر: إذا ذهب به وخلص، ويقال هذا لمن ظفر بخير وذهب به، والكلمة الأخرى قولهم: فوز الرجل، إذا مات وهلك<sup>(١)</sup>.

الفوز اصطلاحًا:

«الظفر بالخير مع حصول السلامة»<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين النصر والفوز:

النصر: هو الخلاص من اضطهاد وسيطرة الآخرين مع إذلالهم، الفوز: هو الخلاص من المكروه مع الوصول إلى المحبوب<sup>(٣)</sup>.

٤ الظهور:

الظهور لغةً:

الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، والظهور: الغلبة<sup>(٤)</sup>.

الظهور اصطلاحًا:

تكلف المظاهرة، وهو تسند القوة، كأنه استناد ظهر إلى ظهر<sup>(٥)</sup>.

الصلة بين النصر والظهور:

النصر: يكون بقصد مخطط له، والظهور: يكون بقصد وبغير قصد<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٤٥٩.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٦٤٧.

(٣) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٢١٠.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/٤٧١.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ١/٩٩.

(٦) الفروق اللغوية، العسكري ص ٣٤٣.

معنى النصر<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: الكافرون لا نصير لهم:  
أخبر سبحانه وتعالى أن الكافرين  
يحرمون النصير؛ بسبب كفرهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا  
الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح:  
٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبْنَا  
عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
نَصِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ  
يُنزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ  
مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رِنًّا  
أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَدِيقًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ  
أَوْلَىٰ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَحَاءَكُمْ  
الْتَذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾  
[فاطر: ٣٧].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً  
وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ  
مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

أي: «والكافرون بالله ما لهم من ولي  
يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من  
عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه،  
ويقتصص لهم ممن عاقبهم»<sup>(٤)</sup>.

## الله سبحانه وتعالى خير الناصرين

ذكر سبحانه وتعالى أنه خير الناصرين  
لأوليائه، وأن الكافرين ليس لهم نصير  
يمنعهم من عذابه.

أولاً: الله سبحانه وتعالى نصير  
المؤمنين:

أخبر سبحانه وتعالى أنه المتولي  
للمؤمنين تولى عناية، والناصر لهم من  
أعدائهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
مَوْلَانَا وَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال:  
٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ  
جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي  
الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْ كُمْ بِزَهْمٍ هُوَ سَمَّاكُمْ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا  
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ  
الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

أي: «ونعم الناصر من الأعداء»<sup>(١)</sup>،  
فيدفع عن المؤمنين «كيد الفجار، وتكالب  
الأسرار»<sup>(٢)</sup>، وعطف على ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾  
قوله: ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾؛ لما في المولى من

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٥٧/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢١.

(٣) التحرير والتنوير ١٠٠/٩.

(٤) جامع البيان، الطبري ٤٧٢/٢٠.

أحل بهم من نعمته، كالذي كانوا يفعلون بهم إذا أرادهم غيرهم من أهل الدنيا في الدنيا بسوء من نصرتهم والمدافعة عنهم<sup>(١)</sup>. ويستفاد من الآيات: أنه من كان يعتمد عند الضيق في الدنيا على الأولياء والنصراء من دون الله؛ ليكفوا عنهم المصائب، يحرم النصير الذي يدفع عنه عذاب الله يوم القيامة.

وأخبر عز وجل أن المنافقين لا يجدون من يدفع عنهم عذاب الله.

قال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُوا يَمَازُ بِنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ لَهُمْ فِي اللَّهِ وَإِنْ يَسْتَوُوا بَعْدَهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

أي: ينقذهم مما هم فيه، ويخرجهم من أليم العذاب<sup>(١)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أن المستنكفين عن عبادته والمستكبرين عنها لا يجدون من دون الله من ينجيهم من عذابه إذا حل بهم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣].

أي: «ولا يجد المستنكفون عن عبادته والمستكبرون عنها إذا عذبهم الله الأليم من عذابه سوى الله لأنفسهم ولما ينجيهم من عذابه وينقذهم منه، ولا ناصرًا ينصرهم، فيستنقذهم من ربهم، ويدفع عنهم بقوته ما

(٢) المصدر السابق ٧/ ٧١٠.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٤٤٢.

الأنبياء - عليهم السلام - وسيدهم .  
وأخبر الله سبحانه وتعالى أن المهاجرين هم الذين صدقوا قولهم بفعلهم عند خروجهم من ديارهم وأموالهم للجهاد في سبيل الله ونصرة رسول الله .

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

أي: «وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم» (٢) .

وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين، أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا للذنب ﴿أَلَا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ .

وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه. لا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه، وهم مع أنهم مطاردون قليلون ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بقلوبهم وسيوفهم في أخرج الساعات وأضيق الأوقات. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين قالوا كلمة الإيمان بألستهم، وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله

(٢) جامع البيان، الطبري ٥٢٣/٢٢ .

## أنواع النصر

أشار القرآن الكريم إلى أن النصر منه الم محمود ومنه المذموم، وسيتناول هذا المبحث هذه النوعين في النقاط الآتية:

### أولاً: النصر الم محمود:

وله صور، منها:

١. نصر الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .  
أخذ الله الميثاق على كل نبي أنه إذا بعث محمد ليؤمن به ولينصرنه .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه (١) .

ويستفاد من الآية: علو مرتبة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٧/٢ .

لأن هذا النوع من الجهاد من باب دفع الأعداء.

### ثانيًا: النصر المذموم:

وله صور، منها:

١. نصر المعبودات من دون الله.

قال سبحانه وتعالى على لسان بعض قوم إبراهيم عليه السلام لبعض: ﴿حَرْقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَ الْهَيْكَلِمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

«أي: إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرًا مؤزرًا، فاختروا له أفضع قتلة، وهي الإحراق بالنار، وإلا فقد فرطتم في نصرها»<sup>(٤)</sup>.

وأسد قول الأمر بإحراقه إلى جميعهم؛ لأنهم قبلوا هذا القول، والأمر في قولهم: ﴿حَرْقُوهُ﴾ مستعمل في المشاورة<sup>(٥)</sup>.

ومن هداية الآية: أن المبطل إذا أفحم بالحجة القاهرة لجأ إلى ما عنده من القوة؛ ليستعملها ضد أهل الحق، وهذه عادة الطغاة والمستبدين في كل وقت، يستشير بعضهم البعض ثم ينبعث أشقاها بالفكرة المهلكة وينفذها.

### وأن الحرق وسيلة من وسائل الطغاة في

دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام. انظر جهاد الطلب بين القدامى والمعاصرين، منير هاشم خضير العبيدي، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، السنة: ٢٠١٢، الاصدار: ٢٨، ص ٢٤٢.

(٤) أضواء البيان ٤/١٦٢.

(٥) التحرير والتنوير ١٧/٧٧.

في أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراهم الناس!«<sup>(١)</sup>.

وفي الآية: أن من دلائل الإخلاص ما يلحق العامل من مشاق وأذى وأضرار، فيحتمل ذلك ابتغاء مرضاة الله.

٢. نصر المظلومين والمستضعفين.

حَثَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَهَيَّجَهُمْ؛ لِنَصْرَةِ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ مِنَ الأَعْدَاءِ، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمُ لَا تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وهؤلاء المستضعفون يدعون الله أن يجعل لهم من ينصرهم على من ظلمهم، أي: «واجعل لنا من عندك من ينصرنا على من ظلمنا من أهل هذه القرية الظالم أهلها، بصددهم إيانا عن سبيلك حتى تظفرنا بهم ونعلي دينك»<sup>(٢)</sup>.

ويستفاد من الآية: أن الجهاد من أجل استنقاذ المستضعفين من أيدي أعدائهم أعظم أجرًا وأكبر فائدة من جهاد الطلب<sup>(٣)</sup>؛

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٥٢٦.

(٢) جامع البيان، الطبري ٧/٢٢٥.

(٣) جهاد الطلب: أن تطلب الكفار في عقر

## سنن النصر وقواعده

أولاً: سنن الله في نصر المؤمنين:

ومنها:

١. الابتلاء قبل النصر.

قرن سبحانه وتعالى في كتابه بين ابتلاء المؤمنين وتحقيق نصرهم على أعدائهم.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلَانَ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال الطبري رحمه الله في تفسير الآية: «أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من البأساء وهو شدة الحاجة، والفاقة، والضراء، وهي العلل، والأوصاب؛ ولم تزلزلوا زلزالهم، يعني: ولم يصيبهم من أعدائهم من الخوف، والرعب شدةً وجهدٌ حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا. ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريبٌ، وأنه معليهم على عدوهم، ومظهرهم عليه، فنجز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار

محاربة أهل الحق؛ بقصد استئصالهم، وهذا ما حدث مع أصحاب الأخدود، وحدث مع ماشطة بنت فرعون وأبنائها، وحدث في العصر الحديث.

٢. نصر أعداء الأمة.

عادة أهل النفاق معاونة أعداء الأمة من اليهود والنصارى ونصرتهم على المسلمين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ لِمَخْرُوجٍ مَعَهُمْ أَبَدًا وَإِنْ قُوَّتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لِمَن لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

أي: وإن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لننصركم معشر بني النضير عليهم<sup>(١)</sup>.

وهم -خذلهم الله- سبب كل بلية أصابت الأمة في ماضيها، وسبب كل بلية تصيب الأمة في حاضرها، وقد حصر الله العداوة فيهم؛ لأنهم في وسط المسلمين ويعرفون مواطن القوة والضعف، ويعرفون من أين يؤتى المسلمون؛ ثم يخبرون الأعداء بها، وخاصة إذا كانوا أهل قوة وسلطان.

قال تعالى: ﴿هُرِّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

(١) جامع البيان، الطبري ٢٢/٥٣٦.

حرب الذين كفروا»<sup>(١)</sup>.

[البقرة: ٢٥١] أي: «ولولا أن الله يدفع ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له والإيمان به - بعضًا - وهم أهل المعصية لله والشرك به - كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له، وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداءً من بعثة ملكٍ عليهم؛ ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده، ﴿ففسدت الأرض﴾ يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو من على خلقه، وتطول عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر»<sup>(٣)</sup>.

وعن علاقة التدافع بالنصر: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [الحج: ٤٠].

فقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ عطف على جملة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾، أي: أمر الله المسلمين بالدفاع عن دينهم وضمن لهم النصر في ذلك الدفاع؛ لأنهم بدفاعهم ينصرون دين الله، فكانهم نصروا الله<sup>(٤)</sup>.

فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، فهو الصادق الذي تحققت فيه الأهلية؛ لينال نصر الله مؤتمناً عليه، فمن حكمته تعالى أن يضع الأشياء في محلها اللائق بها. وفي الآية: بشارة من الله تعالى للمسلمين بقرب النصر إذا حصل لهم من الزلزلة ما يملأ القلوب رعباً، والقصد منه إكرام هذه الأمة بأنها لا يبلغ ما يمسه مبلغ ما مس من قبلها من الأمم، وأن يجيء نصر الله لها قبل استبطائه. لقد رسمت الآية طريق النصر: إنه طريق الإيمان والجهاد، ثم المحنة والابتلاء، ثم الصبر والثبات، ثم التوجه إلى الله وحده، ثم يجيء النصر.

وقد سئل أحد الصالحين: أيما أفضل للرجل، أن يمكن له أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن الرجل حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمداً عليهم السلام فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الأثم البتة<sup>(٢)</sup>.

٢. سنة التدافع.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾

(٣) جامع البيان، الطبري ٥١٤/٤.

(٤) التحرير والتنوير ٢٠٢/١٧.

(١) جامع البيان، الطبري ٦٣٦/٣.

(٢) الفوائد، ابن القيم ص ٢٦٩.

بناء مجتمع أفضل، تزهدهر فيه قوى الخير، وتتصير فيه إرادة الحق، والتغيير من قديم سبيلُ إصلاح، وأسلوب بناء، وطريق بقاء»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: قواعد النصر:

للنصر قواعد يقوم عليها منها:

١. النصر من عند الله سبحانه وتعالى.

إذا تتبعنا آيات النصر في القرآن نجد أنه قلما ذكر الله سبحانه وتعالى النصر من غير إضافته إليه، فالله سبحانه وتعالى هو النصير، وهو خير النصيرين، فهو سبحانه ينصر عباده المؤمنين على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم، ويعينهم عليهم. فالنصر حقُّ الله يمتن به على من يشاء من عباده؛ لحكم يعلمها ومنافع لعباده يقدرها.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ آلاَ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال الشنقيطي رحمه الله: «ومعلوم أن هذه الإضافة هنا لها دلالة تمام وكمال، كما في بيت الله. مع أن المساجد كلها بيوت لله، فهو مشعر بالنصر كل النصر، أو بتمام النصر

«لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا ﴿دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، ولولا أن طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها تعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة؛ لتنتلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، تنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكونات مذخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة، وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء»<sup>(١)</sup>.

٣. سنة التغيير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

تقرر هذه الآية سنة من سنن الله سبحانه وتعالى في التغيير في حياة الناس، وهي أن يكون التغيير مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم.

«فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مكلف مسؤول، سيد في الكون، عبد لله، قادر على تغيير ما حوله بقدر ما يغير ما بنفسه»<sup>(٢)</sup>.

لذلك لا بد للمصلحين «أن يعتمدوا منهج التغيير النفسي على أنه وسيلتها في

(٣) نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، ص ٣٦٤.

(١) في ظلال القرآن، ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) الشباب والتغيير، ص ٢٨.

قاعدة رد الأمر جملة إلى مشيئة الله الطليقة، وإرادته الفاعلة، وقدره المباشر، وتنحية الأسباب والوسائل عن أن تكون هي الفاعلة، وإنما هي أداة تحركها المشيئة، وتحقق بها ما تريده.

وقد حرص القرآن الكريم على تقرير هذه القاعدة في التصور الإسلامي، وعلى تنقيتها من كل شائبة، وعلى تنحية الأسباب الظاهرة والوسائل والأدوات عن أن تكون هي الفاعلة...؛ لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب، بين قلب المؤمن وقدر الله، بلا حواجز ولا عوائق ولا وسائل ولا وسائط، كما هي في عالم الحقيقة»<sup>(٥)</sup>.

وفي موضع آخر أخبر سبحانه وتعالى أن النصر حق للمؤمنين أوجهه عز وجل على نفسه- ولم يوجهه عليه أحد- وجعله من جملة الحقوق المتعينة، ووعدهم به فلا بد من وقوعه.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين، ونحن ناصرونك ومن آمن بك على من كفر بك، ومظفرونك بهم<sup>(٦)</sup>.

«فسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين وجعله لهم حقاً؛ فضلاً وكرماً،

كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>. وفي آيات أخر أخبر سبحانه وتعالى أنه واهب النصر، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

والمعنى أن: «كل نصر هو من عند الله لا من الملائكة»<sup>(٢)</sup>.

والغرض منه: «أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة، وهذا تنبيه على أن إيمان العبد لا يكمل إلا عند الإعراض عن الأسباب والإقبال بالكلية على مسبب الأسباب»<sup>(٣)</sup>.

«وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا؛ لأنهما أولى بالذكر في هذا المقام؛ لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يعطاه»<sup>(٤)</sup>.

«وهكذا يحرص السياق القرآني على رد الأمر كله إلى الله، كي لا يعلق بتصور المسلم ما يشوب هذه القاعدة الأصلية:

(١) أضواء البيان ١٣٨/٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢١٢/٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٣٥٤/٨.

(٤) التحرير والتنوير ٢١٢/٣.

(٥) في ظلال القرآن ١/٤٧٠.

(٦) جامع البيان، الطبري ٥١٩/١٨.

وولادة الكافر الفاجر، وكان عدمهم خيرا من وجودهم الخبيث، وعلى الثاني تأكيد البشارة؛ لأن كلمة (على) تفيد معنى اللزوم، يقال: على فلان كذا: ينبئ عن اللزوم، فإذا قال: حقاً أكد ذلك المعنى، فالنصر هو الغلبة التي لا تكون عاقبتها وخيمة، فإن إحدى الطائفتين إذا انهزمت أولاً، ثم عادت آخرًا لا يكون النصر إلا للمنهزم، وكذلك موسى وقومه لما انهزموا من فرعون ثم أدركه الغرق لم يكن انهزامهم إلا نصرة، فالكافر إن هزم المسلم في بعض الأوقات لا يكون ذلك نصرة؛ إذ لا عاقبة له<sup>(٢)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أن النصر في الدنيا مما جبلت على محبته نفوس عباده.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَىٰ يُجَبِّونَهَا نَصْرَ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَبْرِئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

ففي الآية «إشارة إلى الامتنان عليهم بإعطائهم ما يحبون في الحياة الدنيا قبل إعطاء نعيم الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

قرن سبحانه وتعالى بين النصر والفتح، وقدم النصر على الفتح؛ لأن النصر سبب الفتح، ومفتاح له.

٢. مَنْ نَصَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَصْرَهُ اللَّهُ.

وأكد لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكاً ولا ريباً<sup>(١)</sup>.

وقد يتأخر هذا النصر أحياناً- في تقدير البشر-؛ لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله، ويقدرّون الأحوال لا كما يقدرها الله. والله هو الحكيم الخبير، يصدق وعده في الوقت الذي يريد، ويعلمه، وفق مشيئته وستته، وقد تتكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف، ولكن إرادته هي الخير وتوقيته هو الصحيح، ووعد القاطع واقع عن يقين، يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ وجهان: أحدهما: فانتقمنا، وكان الانتقام حقاً، واستأنف فقال: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وعلى هذا فيكون بشارة للمؤمنين الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أي: علينا نصركم أيها المؤمنون.

والوجه الثاني: كان ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: نصر المؤمنين كان حقاً علينا.

وعلى الأول لطيفة وعلى الآخر أخرى، أما على الأول فهو أنه لما قال ﴿فَأَنْتَقَمْنَا﴾ [الأعراف: ١٣٦].

يَبِينُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَلَمًا وَإِنَّمَا كَانَ عَدْلًا حَقًّا، وذلك؛ لأن الانتقام لم يكن إلا بعد كون بقائهم غير مفيد إلا زيادة الإثم

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٠٨/٢٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٥/٢٨.

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٧٧٤.

إن نصروه، وبأنه خاذل الذين كفروا بسبب كراهيتهم ما شرعه من الدين<sup>(٣)</sup>.

ونصر المؤمنين لله أن تتجرد نفوسهم له «وَأَلَّا تَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، شَرَكًا ظَاهِرًا أَوْ خَفِيًّا، وَأَلَّا تَسْتَبْقِيَ فِيهَا مَعَهُ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ ذَاتِهَا وَمَنْ كُلِّ مَا تَحِبُّ وَتَهْوَى، وَأَنْ تَحْكُمَهُ فِي رَغْبَاتِهَا وَنَزَوَاتِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، وَسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وَنَشَاطِهَا كُلِّهَا وَخَلَجَاتِهَا... فَهَذَا نَصْرُ اللَّهِ فِي ذَوَاتِ النَّفُوسِ.

وإن لله شريعة ومنهاجًا للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة. ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة<sup>(٤)</sup>.

### ٣. التأيد الإلهي والتأييد بالمؤمنين.

أخبر عز وجل أن من أسباب النصر تأييد المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِبَصَرِهِمْ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٦٢].

وجعلت التقوية بالنصر؛ لأن النصر يقوي العزيمة، ويثبت رأي المنصور، وضده يشوش العقل، ويوهن العزم<sup>(٥)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أنه علق المسبيات

ذكر الله عز وجل في سورة الحج عن هذه القاعدة فقال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أي «وليعين الله من يقاتل في سبيله؛ لتكون كلمته العليا على عدوه، فنصر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله؛ لتكون كلمته العليا<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ عطف على جملة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾، أي: أمر الله المسلمين بالدفاع عن دينهم. وضمن لهم النصر في ذلك الدفاع؛ لأنهم بدفاعهم ينصرون دين الله، فكأنهم نصروا الله<sup>(٢)</sup>.

وأخبر عز وجل في سورة محمد أن المؤمنين إن نصروه نصرهم على أعدائهم، وعصمهم من الفرار والهزيمة

قال تعالى: ﴿إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومناسبة هذه الآية لما سبقها: أنه لما ذكر أنه لو شاء الله لانتصر منهم علم منه أن ما أمر به المسلمين من قتال الكفار إنما أراد منه نصر الدين بخضد شوكة أعدائه الذين يصدون الناس عنه، أتبعه بالترغيب في نصر الله والوعد بتكفل الله لهم بالنصر

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/٧١.

(٤) في ظلال القرآن ٦/٣٢٨٨.

(٥) التحرير والتنوير ٩/١٥١.

(١) جامع البيان، الطبري ١٦/٥٨٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٧/٢٠٢.

أسباب النصر

أولاً: الإيمان:

قرن سبحانه وتعالى في مواضع من القرآن بين الإيمان والنصر، وأخبر سبحانه وتعالى أن من أسباب النصر التي مضت بها سنته: الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤].

فالآية: «نصر في تعليل النصر بالإيمان»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِنَصْرِوْا أَللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُنَيِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فالإيمان سبب حقيقي من أسباب النصر المعنوية<sup>(٣)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أنه لا وعد منه بالنصر إلا لمن توافرت فيه صفات الإيمان ولوازمه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن كان حظه من صفات الإيمان ولوازمه أكبر كان إلى نيل النصر أقرب.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

بأسبابها المعتادة وهي أن يبلو بعض خلقه ببعض، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤].

يقول عز وجل: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدهم وثاقاً بعد قهرهم، وأسرههم، والمنّ والفداء ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] هو الحق الذي ألزمتكم ربكم، ولو يشاء ربكم ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلاً إلا بأيديكم أيها المؤمنون ﴿يَبْلُوا بِمِغْضِكُمْ بَعْضٌ﴾ [محمد: ٤].

يقول: ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحق<sup>(١)</sup>.

من هداية الآية: ضرورة بذل الجهد البشري؛ لتحقيق النصر.

(٢) تفسير المنار ٧/٣١٧.

(٣) المصدر السابق.

(١) جامع البيان، الطبري ٢١/١٨٩.

ثانيًا: طاعة الله ورسوله:

أخبر سبحانه وتعالى أن من عوامل النصر طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم التي بها انتظام جيش المسلمين وجماعتهم. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وطاعة الله ورسوله تشمل اتباع سائر أحكام القتال المشروعة بالتعيين، مثل الغنائم. وكذلك ما يأمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من آراء الحرب<sup>(١)</sup>.

ومن آراء الحرب ما قاله صلى الله عليه وسلم للرماة فيما روى البخاري في صحيحه: عن البراء رضي الله عنه قال: (لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشًا من الرماة وأمر عليهم عبد الله، وقال: لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا). فلما لقينا (لقيناهم) هربوا حتى رأيت النساء يشتددن (يسندن) في الجبل رفعن (يرفعن) عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا. فأبوا. فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً<sup>(٢)</sup>.

وحدثت الهزيمة للمسلمين؛ لمخالفة الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتشمل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة أمرائه في حياته، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ومن عصى أميرى فقد عصاني)<sup>(٣)</sup>.

وتشمل طاعة أمراء الجيوش بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لمساواتهم أمراء الغائبين عنه في الغزوات والسرايا، في حكم الغيبة عن شخصه<sup>(٤)</sup>.

ثالثًا: التأييد الإلهي:

أخبر عز وجل أنصاره بأنه مؤيدهم على عدوهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

عن مجاهد رحمه الله ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، نحن الآخرون السابقون، رقم ٢٧٩٧.  
(٤) التحرير والتنوير ٩/ ١٢٣.

(١) التحرير والتنوير ٩/ ١٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم ٤٠٤٣.

[الأفعال: ٦٦].

والمعنى: والله معين الصابرين على الجهاد في سبيله وغير ذلك من طاعته، وظهورهم ونصرهم على أعدائه الصادين عن سبيله، المخالفين منهج دينه<sup>(٣)</sup>.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النصر مع الصبر فقال: (وأن النصر مع الصبر)<sup>(٤)</sup>.

وهذا الحديث يشمل النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما، نصر وظفر بعده، ومن لم يصبر فيهما وجزع، قُهر وصار أسيراً العدو أو قتيلاً له<sup>(٥)</sup>.

فالصبر هو زاد الطريق للنصر «إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواك، مفروش بالدماء والأشلاء، وبالإيذاء والابتلاء، الصبر على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات النفس ورغائبها، وأطماعها ومطامحها، وضعفها ونقصها، وعجلتها وملالها من قريب! والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم، وانحراف طباعهم، وأثرتهم،

(٣) جامع البيان، الطبري ٤/٤٩٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، رقم ٢٨٠٣.

وضحه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٦٨٠٦.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن جب ١/٤٩٠.

عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴿الصف: ١٤﴾ قال: قوينا<sup>(١)</sup>.

وعلى قدر إيمان العبد يكون نصره وتأييده، «والنصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل، فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد»<sup>(٢)</sup>.

والعبرة المستفادة من نداء المؤمنين في الآية: هي استنهاض همتهم لنصرة الله ونصرة دينه، والاقتران بمن قبلهم من الصالحين في نصره الدين.

رابعاً: الصبر:

علق سبحانه وتعالى النصر بالصبر فقال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن قَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا لَّكُم وَلِيظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِيءَ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿آل عمران: ١٢٥-١٢٦﴾.

وأخبر سبحانه وتعالى أن معيته مع الصابرين في جهادهم لعدوه وعدوهم فقال: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كُمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿البقرة: ٢٤٩﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُن مِّنكُمْ يَأْتِي صَابِرَةً يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾

(١) جامع البيان، الطبري ٢٢/٦٢٣.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم ٢/١٨٢.

عن قصة طالوت وجالوت، أنه لما واجه أهل الإيمان - وهم قليل من أصحاب طالوت - عدوهم أصحاب جالوت - وهم عدد كثير - دعوا الله أن يفرغ عليهم صبراً، وأن يثبت أقدامهم في لقاء الأعداء، ويجنبهم الفرار، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَّرُوا لِبِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

فاستجاب لهم ربهم، فأفرغ عليهم صبره، وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين.

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١]

وأخبر سبحانه وتعالى عن الربنيين أنهم دعوه بغفران الذنوب وتكفير السيئات والثبات عند ملاقات العدو، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧) ﴿فَقَالَتْ لَهُمْ أَللَّهُ تَوَّابٌ أَلَمْ نَكُنْ مَعَهُ قَبْلَ هَٰذَا فِي الْأُمَمِ الْأَوَّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧ - ١٤٨].

«فأتاهم الله ثواب الدنيا بالنصر والظفر بالعدو، والسيادة في الأرض، وما يتبع ذلك من الكرامة والعزة، وحسن السيرة وشرف

وغرورهم، والتوائهم، واستعجالهم للثمار! والصبر على تنفج الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وغلبة الشهوة، وتصعير الغرور والخيلاء!

والصبر على قلة الناصر، وضعف المعين، وطول الطريق، ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق! والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله، وما تثيره في النفس من انفعالات متنوعة من الألم والغیظ، والحق والضيق، وضعف الثقة - أحياناً - في الخير، وقلة الرجاء - أحياناً - في الفطرة البشرية، والملل والسأم واليأس - أحياناً - والقنوط! والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر، وبدون خيلاء وبدون اندفاع إلى الانتقام، وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء! والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله، واستسلام لقدره، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع»<sup>(١)</sup>.

ومن هداية الآية: أن النصر محقق للمؤمن على قدر مشقته وصبره، بعد عون الله وتأييده له.

خامساً: الدعاء:

أخبر سبحانه وتعالى في سياق الحديث

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٥٢.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُرَوِّبِينَ﴾  
[الأَنْفَالُ: ٩]. فأمدّه الله بالملائكة<sup>(٢)</sup>.

وأخبر عز وجل عن نوح عليه السلام أنه لما كذبه قومه وآذوه دعا ربه أن يتنصر لدينه منهم فقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ مِّنْ نُّوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ١٠ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ١١ فَفَنَحْنَا نُوحَ الْبَنَاتِ السَّمَوَاتِ بِمَاءٍ مُّتَجَرِّمٍ ١٢ وَفَجَرْنَا ١٣ فَجَرَىٰ فَالْفَيْءِ الْمَاءِ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدٍ قَدِيرٍ ١٤ وَحَمَلَتْهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَرْجِ وَدُسِرَ ١٥ فَجَرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا ١٦ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ١٧ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر: ٩ - ١٦]

إلا أنه يجب التنبيه على أن اللجوء إلى الله يكون مع بذل ما في الطاقة والوسع؛ لأن الله لا ينزل نصره إلا على من يستحقونه، فهو الحكيم الذي يضع الأمور حسب ما تقتضيه الحكمة، «فالذين يسلكون السبيل إلى الله ليس عليهم إلا أن يؤدوا واجبهام كاملاً، بكل ما في طاقتهم من جهد ثم يدعوا الأمور لله في طمأنينة وثقة. وعندما يغلبون عليهم أن يلجؤوا إلى الناصر المعين، وأن يجاروا إليه كما جار عبده الصالح نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾.. ثم ينتظروا فرج الله القريب، وانتظار الفرج من الله

الذكر وحسن ثواب الآخرة بنيل رضوان الله وقربه، والنعيم بدار كرامته»<sup>(١)</sup>.

وفي الآية حث للمسلمين على الاقتداء بالمجاهدين من الأمم السابقة وفعل فعلهم. وأثنى الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالتجائهم إليه وقت الكرب يوم بدر في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُرَوِّبِينَ ١٠ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأَنْفَالُ: ٩ - ١٠].

روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم بدرٍ نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم أت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل:

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، رقم ١٧٦٣.

(١) تفسير المنار ٤/١٤٢، بتصرف يسير.

عبادة، فهم على هذا الانتظار مأجورون»<sup>(١)</sup>.  
سادسًا: ذكر الله:

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين عند ملاقاته عدوه وعدوهم بكثرة ذكره؛ لأنهم إن فعلوا ذلك تحقق لهم النصر.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتَهُ فَبِئْسَ فِئَةً فَأَتَّبَتُوا ءَأَذَكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

عن قتادة رحمه الله قال: «افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف»<sup>(٢)</sup>.

«وذكر الله المأمور به هنا: هو ذكره باللسان؛ لأنه يتضمن ذكر القلب وزيادة، فإنه إذا ذكر بلسانه فقد ذكر بقلبه وبلسانه، وسمع الذكر بسمعه، وذكر من يليه بذلك الذكر، ففيه فوائد زائدة على ذكر القلب المجرد، وقرينة إرادة ذكر اللسان ظاهر وصفه بـ ﴿كَثِيرًا﴾؛ لأن الذكر بالقلب يوصف بالقوة، والمقصود تذكر أنه الناصر»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الله عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى:

«إنه الاتصال بالقوة التي لا تغلب، والثقة بالله الذي ينصر أوليائه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها

وأهدافها، فهي معركة لله؛ لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرده الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، وإذن فهي معركة؛ لتكون كلمة الله هي العليا لا للسيطرة، ولا للمغرم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي، كما أنه توكيد لهذا الواجب - واجب ذكر الله - في أخرج الساعات وأشد المواقف»<sup>(٤)</sup>.

وفي الآية دليل على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذكر الله على كل حال، ألا ترى أنه أمر به في أصعب الأوقات وأشدّها وهو وقت التحام القتال.

### سابعًا: الثبات:

قرن سبحانه وتعالى بين الثبات والنصر في مواضع من كتابه، وهذا يدل على أنه سبب من أسباب النصر، ففي سياق الحديث عن قصة طالوت وجالوت، أثنى سبحانه وتعالى على دعاء أهل الإيمان الذين سألوه أن يثبت أقدامهم؛ حتى لا يفروا من مواقع القتال ويتحقق لهم الانتصار، فقال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا وَقَاتِلْنَا لَهُم وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وأخبر سبحانه وتعالى عما استنصرت به الأنبياء وأمهم على قومهم من سؤالهم

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٩٣.

(٢) جامع البيان، الطبري ١١/ ٢١٣.

(٣) التحرير والتنوير ١/ ١٢٢.

(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٢٨.

فَتَيَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿الأنفال: ١٢﴾.

قيل في تفسيرها: «قوا قلوبهم وبشروهم بالنصر، وقيل: احضروا معهم القتال، والقولان حق فإنهم حضروا معهم القتال وثبتوا قلوبهم»<sup>(٣)</sup>.

فالثبات «هو بدء الطريق إلى النصر. فأثبت الفريقين أغلبهما، وما يدري الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون، وأنه يألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون، فلا مدد له من رجاء في الله يثبت أقدامه وقلبه! وأنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فسينخذل عدوهم وينهار، وما الذي يزلزل أقدام الذين آمنوا وهم واثقون من إحدى الحسينيين: الشهادة أو النصر؟ بينما عدوهم لا يريد إلا الحياة الدنيا، وهو حريص على هذه الحياة التي لا أمل له وراءها ولا حياة له بعدها، ولا حياة له سواها؟!»<sup>(٤)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أن من نصر دينه ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم، يثبت على النصر وتكاليفه.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن تكاليف النصر: «عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده والتهاون. وكثير من النفوس يثبت على المحنة

ر بهم، أن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم على أعدائهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ آلَا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

أي: «اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم، ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم»<sup>(١)</sup>. وفي سياق الحديث عن غزوة بدر ذكر سبحانه وتعالى نعمته على المؤمنين المجاهدين من إنزال الماء؛ ليثبت به الأرض وتتماسك به الرمال، حتى لا تنزل الأقدام في مواقع القتال.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذَهِّبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

عن مجاهد: ﴿مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ أنزله عليهم قبل النعاس، طبق المطر الغبار، ولبد به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به الأقدام<sup>(٢)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أنه أمر ملائكته بثبيت المؤمنين المجاهدين في بدر، فقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٤٦.

(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٢٨.

(١) جامع البيان، الطبري ٦/ ١٢١.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٦٦.

وَجِدَةٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ  
أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا  
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا جِدْرَكُمْ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ  
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿النساء: ١٠٢﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا  
مُهِينًا﴾ أي: بما هداكم إليه من أسباب  
النصر، كإعداد كل ما يستطيع من القوة  
وأخذ الحذر، والظاهر أن العذاب ذا الإهانة  
هو عذاب الغلب وانتصار المسلمين عليهم،  
إذا قاموا بما أمرهم الله سبحانه وتعالى به  
من الأسباب النفسية والعملية.

ويؤيده قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ  
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ  
عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٤] (٣).

والم تأمل في الآية يلحظ أنها جمعت في  
النظم بين إقامة الصلاة وهي الزاد الروحي،  
وبين السلاح وهو من العدة المادية؛  
ليعلم المسلمون أن الاشتغال بأمر الدين  
-والصلاة عموده- لا يباعد بينهم وبين  
مصالح دنياهم وأعظمها الجهاد الذي هو  
ذروة سنام الإسلام، وليريهم أن صلاح  
الدين والدنيا صنوان.

«وأول ما يلفت النظر هو الحرص على  
الصلاة في ساحة المعركة! ولكن هذا  
طبيعي بل بديهي في الاعتبار الإيماني، إن  
هذه الصلاة سلاح من أسلحة المعركة، بل

والبلاء، ولكن القليل هو الذي يثبت على  
النصر والنعماء، وصلاح القلوب، وثباتها  
على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء  
النصر» (١).

ثامناً: الأخذ بالحذر:

أمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين  
بأن يأخذوا حذرهم؛ لاتقاء خدع الأعداء  
المتربصين بهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا  
حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾  
[النساء: ٧١].

أي: «خذوا حجتكم وأسلحتكم التي  
تتقون بها من عدوكم لغزوهم وحرابهم» (٢).  
وقرن سبحانه وتعالى بين الحذر  
والسلاح؛ ليبين أن الحذر يكون بالعدة  
التي تناسب حالة العدو، وتمكن المؤمنين  
من اتقاء خدعهم وصد هجمتهم وإفشال  
رغبتهم في القضاء عليهم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ  
لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَمَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ  
وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا  
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَنَاتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى  
لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ  
وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ  
عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً

(١) المصدر السابق ٦/٣٢٨٩.

(٢) جامع البيان، الطبري ٧/٢١٧.

(٣) تفسير المنار ٥/٣٠٦.

بين التحذير والتطمين، وهذا التوازن بين استشارة حاسة الحذر وسكب فيض الثقة هو طابع هذا المنهج في تربية النفس المؤمنة والصف المسلم، في مواجهة العدو الماكر العنيد اللثيم»<sup>(١)</sup>.

وفي الآيات تعليم للمسلمين للأخذ بالأسباب، أي: إن أخذتم حذركم أمتم من عدوكم بعد توكلكم على ربكم.

### تاسعاً: إعداد القوة المادية:

أمر سبحانه وتعالى المؤمنين في سياق الحديث عن النصر بضرورة إعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إلى قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِتَصْرُوهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أعدوا لهم ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل<sup>(٢)</sup>.

«فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي

إنها السلاح! فلا بد من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة وجو المعركة!

ولقد كان أولئك الرجال -الذين تربوا بالقرآن وفق المنهج الرباني- يلقون عدوهم بهذا السلاح -الذي يتفوقون فيه- قبل أي سلاح، لقد كانوا متفوقين في إيمانهم بإله واحد يعرفونه حق المعرفة، ويشعرون أنه معهم في المعركة، متفوقين كذلك في إيمانهم بهدف يقاتلون من أجله، ويشعرون أنه أرفع الأهداف جميعاً، متفوقين أيضاً في تصورهم للكون والحياة ولغاية وجودهم الإنساني، تفوقهم في تنظيمهم الاجتماعي الناشئ من تفوق منهجهم الرباني... وكانت الصلاة رمزاً لهذا كله، وتذكيراً بهذا كله، ومن ثم كانت سلاحاً في المعركة، بل كانت هي السلاح!

والأمر الثاني الذي يلفت النظر في هذا النص هو هذه التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو، وهذا الحذر الذي يوصى المؤمنون به تجاه عدوهم الذي يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم؛ ليميل عليهم ميلاً واحدة!

ومع هذا التحذير والتخويف التطمين والثبيت؛ إذ يخبرهم أنهم إنما يواجهون قوماً كتب الله عليهم الهوان: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.. وهذا التقابل

(١) في ظلال القرآن ٢/٧٤٨.

(٢) جامع البيان، الطبري ١١/٢٤٤.



يؤخر الله النصر لحكم يعلمها، قد تتبين للمجاهدين، وقد لا تتبين، وقد ذكر سيد قطب رحمه الله بعض ما فتح الله عليه من أسباب بقاء النصر فقال: قد يبطؤ النصر؛ حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً، لا تبدله هيناً رخيصاً في سبيل الله.

وقد يبطؤ النصر؛ حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر.

وقد يبطؤ النصر؛ لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته.

كما قد يبطؤ النصر؛ لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها ليمحض خالصاً، ويذهب وحده هالكاً.

وقد يبطؤ النصر؛ لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية!

وقد يبطؤ النصر؛ لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة<sup>(٣)</sup>.

جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، قال: فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً<sup>(١)</sup>.

فكل من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى؛ ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ «ولقد كان في هذا التدبير الإلهي ما أغرى الفريقين بخوض المعركة، والمؤمنون يرون أعداءهم قليلاً؛ لأنهم يرونهم بعين الحقيقة!، والمشركون يرونهم قليلاً، وهم يرونهم بعين الظاهر، ومن وراء الحقيقتين اللتين رأى كل فريق منهما صاحبه بها تحققت غاية التدبير الإلهي، ووقع الأمر الذي جرى به قضاؤه ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، فهو أمر من الأمور التي مرجعها لله وحده، يصرفها بسلطانه، ويوقعها بإرادته<sup>(٢)</sup>.

فعلى أولي الأمر مراعاة عدد المقاتلين الصابرين عند مواجهة الأعداء وحساب ذلك بدقة.

وبالرغم من ضرورة إعداد القوة المادية من آلات ومقاتلين إلا أنها لا تكفل وحدها النصر إلا بعد توفر الأسباب المعنوية التي هي العدة الحقيقية للنصر.

وبعد الانتهاء من أسباب النصر. أقول قد تتوفر أسباب النصر السابقة لكن

(١) جامع البيان، الطبري ٥/ ٢٥١.

(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٢٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ٤/ ٢٤٢٧.

عوائق النصر

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه عوائق النصر؛ لتعليم المؤمنين التخلص والتطهر منها قبل مقابلتهم لعدوهم؛ حتى يكون النصر حليفهم، ومن هذه العوائق:

أولاً: التنازع والاختلاف:

نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن التنازع، مبيّناً أنه سبب الفشل وذهاب النصر، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

عن مجاهد رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال: نصركم<sup>(١)</sup>.

وبين سبحانه وتعالى أن نتيجة الفشل والتنازع هو ذهاب النصر والغنيمة، كما حدث للمسلمين في غزوة أحد، فإن النصر كان حليفهم لما التزموا أمر الرسول الكريم، ولما تنازعوا فيما بينهم وتركوا أمر الرسول أصابتهم الهزيمة، وذهب عنهم ما كانوا يحبون من النصر والغنيمة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ثُمَّ إِذَا فُتِنْتُمْ فَانْحَرْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾

[آل عمران: ١٥٢].

عن البراء رضي الله عنه قال: (لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله، وقال: (لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتمهم ظهروا علينا فلا تعينونا) فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان، فقال: أفي القوم محمدٌ؟ فقال: (لا تجيبوه) فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: (لا تجيبوه) فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أجيبوه) قالوا: ما نقول؟ قال: (قولوا: الله أعلى وأجل)، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أجيبوه) قالوا: ما نقول؟ قال: (قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم) قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال<sup>(٢)</sup>.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم ٤٠٤٣.

(١) جامع البيان، الطبري ٢١٥/١١.

﴿حَقَّ إِذَا فَسَلْتَهُ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] (١).

وما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للتنازع بينهم، مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة، فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! (٢).

«إن التنازع واختلاف الرأي حول أمر من الأمور قد يكون مطلوباً إذا صحبته نية حسنة، وكان الغرض منه إظهار الحق بالبرهان والحجة، وهو حينئذ أقرب إلى التشاور منه إلى الجدل والخصام.

إن اختلاف الأفهام واشتجار الآراء ليس بمستغرب في الحياة ولكن شريطة ألا يؤدي ذلك للتقاطع والشقاق، ولو تجردت النيات للبحث عن الحقيقة، وأقبل روادها وهم بعداء عن طلب الغلب والسمعة والرئاسة والثناء لصفت المنازعات التي ملأت التاريخ بالأكدار والمآسي، إن الناس إذا لم يجمعهم الحق شَعَبَهُمُ الباطل، وإذا لم

«والنهي عن التنازع يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك: بالفاهم، والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضاً، حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى أمرائهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقوله: ﴿فَإِن تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور؛ لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي. ثم حذرهم أمرين معلوماً سوء مغبتهما وهما الفشل وذهاب الريح.

والفشل: انحطاط القوة، وهو هنا مراد به حقيقة الفشل في خصوص القتال ومدافعة العدو، ويصح أن يكون تمثيلاً لحال المتعاضد عن القتال بحال من خارت قوته وفشلت أعضاؤه، في انعدام إقدامه على العمل. وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل؛ لأنه يثير التفاضل ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلقاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم فيتمكن منهم العدو، كما قال:

(١) التحرير والتنوير ٩/ ١٢٣.  
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٢٩.

يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا، ولهذا كان التنازع والتطاحن المر من خصائص الجاهلية المظلمة وديدن من لا إيمان لهم<sup>(١)</sup>.

فالتنازع جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها<sup>(٢)</sup>.

### ثانيًا: الإعجاب بالكثرة:

هزم المؤمنون يوم حنين بقول أحدهم: «لن تغلب اليوم من قلة»، وبإعجاب كثرتهم لمن أعجبه منهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وفي ذكر هذه الغزوة وما حدث فيها: قال محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال: (خرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، فأعدوا وتهيؤوا في مضايق الوادي وأحناؤه، وأقبل رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحدٌ على أحد، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول: (أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)، فلا شيء وركبت الإبل بعضها بعضًا، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس قال: (يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة) فأجابوه: لبيك لبيك، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعميره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار، ثم جعلت آخرًا بالخزرج وكانوا صبراء عند الحرب، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه، فنظر إلى مجتلد القوم فقال: (الآن حمي الوطيس) قال: فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ملقون، فقتل الله منهم من قتل وانهزم منهم ما انهزم، وأفاء الله على رسوله أموالهم وأبناءهم<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رجلا قال له:

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ١١٢.

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٩٠، بتصرف واختصار.

(٢) الفروسية، ابن القيم ١/ ٥٠٦.

الصلاة والسلام، وحصول الهزيمة عند إيثار الحظوظ العاجلة على الامتثال»<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه الغزوة اجتمع فيها للمسلمين لأول مرة جيش عدته اثنا عشر ألفاً فأعجبهم كثرتهم، وغفلوا بها عن سبب النصر الأول، فهزموا في أول المعركة، ثم نصرهم الله عز وجل بتأييده، ثم بالقلعة المؤمنة التي ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصقت به؛ ليتعلم المؤمنون أن النصر من عند الله.

### ثالثاً: المعاصي والذنوب:

بين سبحانه وتعالى السبب الخفي لامتناع النصر في غزوة أحد، وهو استئلال الشيطان للمؤمنين ببعض ذنوبهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنكُمْ يَوْمَ التَّنَقُّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

أي: ببعض ذنوبهم السالفة<sup>(٤)</sup>.

فهؤلاء الذين هزموا وفروا «قد ضعفوا وتولوا بسبب معصية ارتكبوها، فظلت نفوسهم مزعزعة بسببها، فدخل عليهم الشيطان من ذلك المنفذ واستزلهم فزلوا وسقطوا، وفي هذا تصوير لحالة النفس البشرية حيث ترتكب الخطيئة فتفقد ثقتها في قوتها، ويضعف ارتباطها بالله، ويختل توازنها وتماسكها، وتصبح عرضة

(٣) التحرير والتنوير ١٠/ ٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٤٦.

يا أبا عمارة أفرتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، إن هوازن كانوا قوماً رماةً، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهم فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام بغلته البيضاء وهو يقول: (أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب)<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلة وليست سريعة العجري ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضاً يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه؛ ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه، وعلماً منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان»<sup>(٢)</sup>.

«وتخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله عليه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم ٢٧٠٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ١١٣.

للساوس والهاوجس»<sup>(١)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أن ما يحصل من مصيبة انتصار العدو وغيرها إنما هو بسبب الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال: ﴿أَوْ يُوقِعَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٤].

ولما علم المؤمنون آثار الذنوب في منع النصر لجؤوا إلى الله بالاستغفار؛ ليغفر لهم ذنوبهم قبل لقاء عدوهم، الاستغفار الذي يردهم إلى الله، ويقوي صلتهم به، قال تعالى مثيلاً على الربيين في استعدادهم لملاقاة عدوهم: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

رابعاً: أهل النفاق:

قال تعالى مبيّناً حكمة تثبيط المنافقين عن الخروج للقتال مع المؤمنين: ﴿لَوْ

خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: عجزاً و جبناً، يعني: يجبنونهم عن لقاء العدو بتحويل أمرهم وتعظيمهم في صدورهم، ثم قال: ﴿وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أسرعوا في الدخول بينكم للتفريق والإفساد، قال ابن عباس: يريد ضعفوا شجاعتكم، يعني: بالتفريق بينهم؛ لتفريق الكلمة، فيجبنون عن العدو<sup>(٢)</sup>.

«فالقلوب الحائرة تبت الخور والضعف في الصفوف، والنفوس الخائنة خطر على الجيوش، ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم بل ل زادوهم اضطراباً وفوضى، ولأسرعوا بينهم بالوقعة والفتنة والتفرقة والتخذيل، وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين»<sup>(٣)</sup>.

وقد بيّن الله عز وجل عدواتهم بقوله: ﴿هُرِّدُوا قُلُوبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْقَوْمُ مِنَ اللَّهِ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

«ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر، أي: لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم، وأنهم لا عدو للمسلمين

(٢) التفسير القيم، ابن القيم ١/١٧٦.

(٣) في ظلال القرآن ٣/١٦٦٣.

(١) في ظلال القرآن ١/٤٩٧.

فسأل عنها، فقيل له هؤلاء حلفاء ابن أبي من اليهود، فقال: (لا حاجة لنا فيهم، إنا لا نستعين بكافر على مشرك) ونعما فعل، فهم قوم مروا على الخيانة والنفاق فلا يؤمن جانبهم.

فلما وصلوا إلى الشوط<sup>(٢)</sup> انخزل عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه، وقال: «أطاعهم وعصاني، علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟»، فرجع من اتبعه من قومه من أهل النفاق والشك، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر فقال: يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونيبكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال، فلما استعصوا عليه، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه.

وفي هؤلاء المنخزلين نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ بِمَنِّ اللَّهِ وَلَيْعَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ وَلَيْعَلَّمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَّالُوا فَنُتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آدَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿ آل عمران: ١٦٦-١٦٧. ]

ولما رجع ابن أبي وأصحابه همت بنو

سواهم، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرًا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعدواة ممن باينهم في الدار، ونصب لهم العدواة وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم - وهم في الباطن على خلاف دينهم - أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعدواة وألزم وأدوم؛ لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أيامًا ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحًا ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعدواة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرْتُمْ﴾، لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوًا من الكفار المجاهرين<sup>(١)</sup>.

موقف أهل النفاق في أحد:

لما أذن مؤذن رسول الله بالخروج لأحد، خرج في ألف من أصحابه، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم عقد الألوية، فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد بن حضير، وسار الجيش، وفي الطريق بصر النبي بكتيبة كبيرة

(٢) الشوط: مكان بين المدينة وأحد.

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٤٠٢.

بها الخمر، وتعزف علينا فيها القيان<sup>(٤)</sup>،  
وتسمع العرب<sup>(٥)</sup>.

ولما رأى رسول الله هذا الخروج من  
قريش قال: (اللهم هذه قريش قد جاءت  
بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك،  
اللهم إني أسألك ما وعدتني)<sup>(٦)</sup>.

وقد جيء في الآيات في نهيمهم عن البطر  
والرياء «بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين؛  
إدماجاً للتشنيع بالمشركين وأحوالهم،  
وتكريها للمسلمين في تلك الأحوال؛ لأن  
الأحوال الذميمة تتضح مذمتها، وتتكشف  
مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم  
مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي،  
وأكشف لقبح المنهي عنه»<sup>(٧)</sup>.

إن خروج المؤمنين للجهاد في سبيل  
الله هو خروج «للتقرير ألوهيته سبحانه  
في حياة البشر، وتقدير عبودية العباد لله  
وحده، وخروج لتحطيم الطواغيت التي  
تغتصب حق الله في تعيين العباد له وحده،  
والتي تزاول الألوهية في الأرض بمزاولتها  
للحاكمية بغير إذن الله وشرعه، وخروج  
لإعلان تحرير الإنسان في الأرض من كل  
عبودية لغير الله، تستذل إنسانية الإنسان

سلمة وبنو حارثة أن ترجعوا، ولكن الله  
ثبتهما وعصمهما، وفي ذلك نزل قوله  
سبحانه: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ  
تَفْسَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾  
[آل عمران: ١٢٢]<sup>(١)</sup>.

فأهل النفاق منخذلون في أنفسهم  
ومنخذلون لغيرهم.

### خامساً: البطر والرياء:

نهى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين  
عن التشبه بالمشركين في البطر والرياء في  
خروجهم للقتال، وفي استخدام نعمة القوة  
التي أعطاها الله لهم في غير ما أرادها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ  
دِينِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاةَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:  
٤٧].

أي: لا يكونون أمركم رياء ولا سمعة ولا  
التماس ما عند الناس، وأخلصوا لله النية  
والحسبة في نصر دينكم، ومؤازرة نبيكم<sup>(٢)</sup>.  
وقد كان من أعظم أنواع البطر والرياء ما  
قاله أبو جهل ومن معه حين قال: «لا نرجع  
حتى نأتي بدرًا فنحربها الجزور»<sup>(٣)</sup>، وتسقى

(٤) القيان: الإماء والعبيد.

انظر: النهاية في غريب الأثر: ٤/ ١٣٥.

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام ١/ ٦٧٤.

(٦) دلائل النبوة، البيهقي ٣/ ١٠١.

(٧) التحرير والتنوير ٩/ ١٢٥.

(١) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة  
١٩٠/٢.

(٢) جامع البيان، الطبري ١١/ ٢١٨.

(٣) الجزور: البعير ذكراً كان أو أنثى.

انظر: النهاية في غريب الأثر: ١/ ٢٦٦.

صبر أولو العزم من الرسل على ما لاقوه من أقوامهم، وألا يستعجل النصر على مكذبيه وحلول العقوبة أو الهلاك بهم.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَنْ يَكُنَّ الْيَوْمَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا نُجْرًا وَلَا يُؤْعَدُونَ تَارَةً إِلَّا سَاعَةٌ مِّنْ تَارَاتٍ بَلِّغْ قَهْلَ يَهْلِكَ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

«لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم، فإن ذلك نازل بهم لا محالة»<sup>(٢)</sup>.

من هداية الآية: أن الاستعجال ينافي العزم.

وأخبر سبحانه وتعالى المؤمنين المستعجلين النصر منه على مخالفهم بسنته في النصر.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ أي: «يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة»<sup>(٣)</sup>.

ومن هداية الآية: أن النصر ينتزل على المؤمنين بقدر ما يتحملون من الشدة،

وكرامته.

خروج لحماية حرمان الناس وكراماتهم وحررياتهم، لا للاستعلاء على الناس واستعبادهم والتبطر بنعمة القوة باستخدامها هذا الاستخدام المنكر، وتخرج متجردة من حظ نفسها في المعركة جملة، فلا يكون لها من النصر والغلب إلا تحقيق طاعة الله في تلبية أمره بالجهاد، وفي إقامة منهجه في الحياة، وفي إعلاء كلمته في الأرض، وفي التماس فضله بعد ذلك ورضاه»<sup>(١)</sup>.

وفي الآيات: تعليم للمؤمنين في كل جيل ألا يستعملوا ما آتاهم الله من قوة في البطر والرياء، ولكن يستعملوها فيما أراه الله منهم من نصرة الحق وإبطال الباطل، وحماية الناس جميعاً من استبداد المستبدين وفساد المفسدين وطغيان الطاغين.

وقد ابتليت الأمة بحكام استخدموا القوة التي أنعم الله بها عليها في الاعتداء على الشعوب وقتلهم، لا لشيء إلا أنهم طالبوا بحقوقهم الضائعة وحررتهم المسلوية من الاستبداد والطغيان. فنسأل الله أن يطهر الأرض من هؤلاء وأمثالهم.

### سادساً: الاستعجال:

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصبر على تكذيب قومه كما

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٧٨/٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٢٧/١.

(١) في ظلال القرآن ١٥٢٩/٣.

وفيها: بشارة من الله تعالى للمسلمين بقرب النصر.

وأخبر سبحانه وتعالى أن سنته فيمن سبق من الرسل أن النصر ما كان يأتيهم عاجلاً لحكمة يعلمها.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَأْسَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

أي: لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم، جاءهم النصر على ذلك<sup>(١)</sup>.

ولما ذهب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكون إليه من تأخر النصر ذكرهم بسنة الله في الأمم السابقة، فقد روى البخاري بسنده عن خباب بن الأرت قال: (شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا! فقال صلى الله عليه وسلم: (كان الرجل فيمن قبلكم يحضر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمٍ أو عصبٍ وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا

يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)<sup>(٢)</sup>.

«والمعنى: لا تستعجلوا فإن من كان قبلكم قاسوا ما ذكرنا فصبروا، وأخبرهم الشارع بذلك؛ ليقوى صبرهم على الأذى»<sup>(٣)</sup>.

فتلك سنة الله في النصر: «لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس، يجيء النصر من عند الله، فينجو الذين يستحقون النجاة، وينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون، ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمراً ماحقاً لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير.

ذلك كي لا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً، فلو كان النصر رخيصاً لقام في كل يوم دعي بدعوة لا تكلفه شيئاً أو تكلفه القليل، ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعباً»<sup>(٤)</sup>.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦١٢.

(٣) عمدة القاري ١٦/١٤٥.

(٤) في ظلال القرآن ٤/٢٠٣٦.

(١) جامع البيان، الطبري ١٣/٣٨٣.

في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها<sup>(١)</sup>. ولما أنزل عذابه على قوم عاد؛ ليذيقهم عذاب الإهانة في الدنيا لم يمنع عذابه عنهم ما عبدوا من دون الله، وسوف يحل عليهم عذاب الآخرة، ولن تستطيع المعبودات من دون الله منعه عنهم.

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَبِّئَهُمْ عَذَابَ الْغُرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَغْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

والمعنى: «أن عادًا لا ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم»<sup>(٢)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أن المعبودات من دون الله لا تستطيع منع العذاب عن نفسها يوم القيامة، وكذلك منعه عن عابديها وهم في العذاب محضرون.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكَ الْغَاوِينَ ۗ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۗ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ۗ فَكَبِّجُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۗ﴾ [الشعراء: ٩١ - ٩٤].

أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئًا، ولا تدفع عن أنفسها،

## المعبودات من دون الله والنصر

أخبر سبحانه وتعالى أنه لما حل العذاب على الأمم السابقة لم تستطع الآلهة التي عبدوها من دون الله منعه عنهم في وقتهم أحوج ما يكون إلى نصرتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَهُمْ لِيَرْجُوعَ ۗ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ يعني: أهل مكة، وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسول مما حولها كعاد، وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة، وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضًا.

وقوله عز وجل: ﴿وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا﴾ أي: بيناها وأوضحناها ﴿لَهُمْ لِيَرْجُوعَ﴾

وقوله: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨]. أي:

فهل نصرهم عند احتياجهم إليهم.

﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم ﴿وَذَلِكِ إِفْكَهُمُ﴾ أي:

كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أي: وافترأهم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٢٦٦.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٠/٤٠٢.

تلك الأصنام والأوثان، فهم جند محضرون للطغاة، وهم الذين يدفعون عنهم ويحمون طغيانهم، ثم هم في الوقت ذاته يخرون للطغيان راعين! (٢).

إن الإنسان في حياته المليئة بالابتلاءات يحتاج إلى من يدفع عنه البلاء، وإن وقع يحتاج من يفرغ عليه الصبر، والحق بذلك هو القوي العزيز سبحانه وتعالى، والمعبودات من دون الله لا تستطيع أن تدفع عن نفسها العذاب ولا عن عابديها، فكيف يعبد الضعيف الضعيف؟ ألا ما أسخف فهم هذه العقول!

فإنكم وإياها اليوم حسب جهنم أنتم لها واردون (١).

وأخبر سبحانه وتعالى أن المعبودات من دون الله وعابديها في العذاب يتبرأ بعضهم من بعض.

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: ٧٤-٧٥].

«في الماضي كانت الآلهة أصنامًا وأوثانًا، أو شجرًا أو نجومًا، أو ملائكة أو جنًا والوثنية ما تزال حتى اليوم في بعض بقاع الأرض، ولكن الذين لا يعبدون هذه الآلهة لم يخلصوا للتوحيد، وقد يمثل شركهم اليوم في الإيمان بقوى زائفة غير قوة الله، وفي اعتمادهم على أسناد أخرى غير الله، والشرك ألوان، تختلف باختلاف الزمان والمكان.

ولقد كانوا يتخذون تلك الآلهة ابتغاء نيل النصر، بينما كانوا هم القائمون بحماية تلك الآلهة من أن يعتدي عليها معتدٍ أو يصيبها بسوء، فكانوا هم جنودها وحمايتها المعدين لنصرتها ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ﴾ وكان هذا غاية في سخف التصور والتفكير، غير أن غالبية الناس اليوم لم ترتق عن هذا السخف إلا من حيث الشكل، فالذين يؤلهون الطغاة والجبارين اليوم، لا يعبدون كثيرا عن عباد

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٦.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٣٥.

كلاهما صحيح معناه، أحدهما- أن يكون  
معناه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إما بإعلائهم على من  
كذبنا وإظفارهم بهم، حتى يقهروهم غلبة،  
ويذلّوهم بالظفر ذلة، من ذلك ما فعله الله  
بداود وسليمان عليهما السلام فأعطاهما  
من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر،  
وكالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم  
بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما  
بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم  
وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم.  
كالذي فعل تعالى ذكره بنوح عليه السلام  
وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم،  
وكالذي فعل بموسى عليه السلام وفرعون  
وقومه؛ إذ أهلكهم غرقاً، ونجى موسى  
عليه السلام ومن آمن به من بني إسرائيل  
وغيرهم، ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة  
الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد  
مهلكهم كالذي فعلنا من نصرتنا شعياً<sup>(١)</sup>  
بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا  
حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة  
يحيى عليه السلام، من تسليطنا بختنصر  
عليهم حتى انتصرنا به ويجنده من قتلته له،  
وكانتصارنا لعيسى عليه السلام من مريدي  
قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم.  
والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام

(١) نبي من أنبياء بني إسرائيل.

### مبشرات النصر

بَشَّرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمَخْلُصِينَ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْبَشَارَاتِ وَالَّتِي مِنْهَا:  
أولاً: الوعد الإلهي بالنصر:

وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بما  
وعد به المرسلين من النصر، فقال: ﴿إِنَّا  
لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

قال ابن جرير رحمه الله «يقول القائل:  
وما معنى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾  
[غافر: ٥١].

وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه،  
ومثلوا به، كشعياً ويحيى بن زكريا  
وأشباهما، ومنهم من هم بقتله قومه، فكان  
أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقه  
ناجياً بنفسه، كإبراهيم عليه السلام الذي  
هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه،  
وعيسى عليه السلام الذي رفع إلى السماء؛  
إذ أراد قومه قتله، فأين النصر التي أخبرنا أنه  
ينصره رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا،  
وهؤلاء أنبياءه قد نالهم من قومهم ما قد  
علمت، وما نصروا على من نالهم بما نالهم  
به؟

قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وجهين

كذلك يقصرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم، قريبة الرؤية لأعينهم، ولكن صور النصر شتى، وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة، إبراهيم عليه السلام وهو يلقي في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها، أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟! ما من شك - في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقي في النار، كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار، هذه صورة وتلك صورة، وهما في الظاهر بعيد من بعيد، فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب! وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألواف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً محرّكاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محرّكاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال»<sup>(٥)</sup>.

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن النصر قد سبقته به كلمة الله، وكلمات الله لا يمكن أن يبدلها بمبدل، فنصر الرسل حتم لا بد منه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الرِّسَالِ﴾ <sup>(٧١)</sup> **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ** <sup>(٧٢)</sup> **وَلَنْ نُجَنِّدَنَّهُمْ** <sup>(٧٣)</sup> **لِلْقَاتِلِينَ** <sup>(٧٤)</sup> [الصفات: ١٧١-١٧٣].

(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٨٧.

على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمعنى به خاص من الرسل والمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد<sup>(١)</sup>.

وهذه سنة الله في خلقه: أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا، ويقر أعينهم ممن آذاهم، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)<sup>(٢)</sup>.

والنصر في الآخرة بالحكم لهم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب<sup>(٣)</sup>.

وقال سيد قطب رحمه الله: «وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها، فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها، وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم وبرزوا<sup>(٤)</sup>! والناس

(١) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٣٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب إن حقا على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه، رقم ٦١٣٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٣٩.

(٤) كما فعل غلام الأخدود، نال الشهادة، فكانت سبباً في إيمان قومه، وكما حدث من مؤمن آل يس حيث قتله قومه وتمنى لهم الهداية لما رأى نعيم الجنة.

حق لهم، ألزم به نفسه الكريمة فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومًا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

فهذه النصوص القرآنية بشارات للمؤمنين، وأدلة قاطعة لا مرية فيها أن نصر الله للمؤمنين واقع لا محالة في الوقت الذي يريد، وما على المؤمنين إلا أن يؤديوا واجبههم بأخذ الأسباب الموجبة للنصر، ولن يترهم الله ثواب أعمالهم.

ثانيًا: الإشارة بظهور الدين:

أخبر سبحانه وتعالى أنه مظهر دينه على الأديان كلها.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

فيظهره ظهورين: ظهورًا بالحجة والبيان والدلالة، وظهورًا بالنصر والظفر والغلبة والتأييد؛ حتى يظهره على مخالفه ويكون

فالأية الكريمة «تدل على أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأتباعهم منصورون دائما على الأعداء بالحجة والبيان، ومن أمر منهم بالجهاد منصور أيضا بالسيف والسنان»<sup>(١)</sup>.

هذا الوعد سنة من سنن الله الكونية، سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة، وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان، وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء، ولكنها مرهونة بتقدير الله، يحققها حين يشاء، لقد أراد المسلمون قبيل غزوة بدر أن تكون لهم غير قريش، وأراد الله أن تفوتهم القافلة الرابعة الهينة وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة، وكان ما أراده الله هو الخير لهم وللإسلام، وكان هو النصر الذي أراده الله لرسوله وجنده ودعوته على مدى الأيام، ولقد يهزم جنود الله في معركة من المعارك، وتدور عليهم الدائرة، ويقسو عليهم الابتلاء؛ لأن الله يعدهم للنصر في معركة أكبر، ولأن الله يهيئ الظروف من حولهم؛ ليؤتي النصر يومئذ ثماره في مجال أوسع، وفي خط أطول، وفي أثر أدوم<sup>(٢)</sup>.

وأخبر سبحانه وتعالى أن نصر المؤمنين

(١) أضواء البيان ٦/ ٣٢١.

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٠٢.

منصوراً<sup>(١)</sup>.

تزال طائفةً من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك<sup>(٣)</sup>.

قال النووي رحمه الله: «يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء موجودون ومنتشرون بفضل الله، ونراهم في الملمات التي تمر بها الأمة، ويلتف حولهم المسلمون من كل مكان نصرة للحق المبين، ووفاءً بعقد الإخوة في الدين.

ثالثاً: الوعد الإلهي بالاستخلاف:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ فِيهِمُ الدِّيَارَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا يَكْفُرُونَ كَفَرًا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ فِيهِمُ الدِّيَارَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا يَكْفُرُونَ كَفَرًا﴾

[النور: ٥٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، رقم ١٩٢٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٧/١٣.

«وظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم باتباع أهل الملل إياه في سائر الأقطار، بالرغم من كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إياه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله على الأديان التي جاورها، وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره على الأديان أن تنقرض تلك الأديان»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا الظهور تخلى كثير من أصحاب دين الحق عنه خطوة فخطوة، بفعل عوامل داخلية في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية، وبفعل الحرب الطويلة المدى، المتنوعة الأساليب، التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء.

لكن لم يخلو زمان من قائم لله بالحجة قاموا وحملوا على عاتقهم نصرة هذا الدين، وإن ذهبت أرواحهم وأمواهم فداءً له، وإن وعد الله قائم بنصرة هؤلاء إذا ساروا على نفس المنهج الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم والأولون، وهذا ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا

(١) التفسير القيم، ابن القيم ص ٣٠٧.

(٢) التحرير والتنوير ٧٤/١٠.

استخدموا ما أنعم الله عليهم في تثبيت دعائم الظلمة والفجرة؛ حتى لا يستقر حكم الإسلام العادل في تلك البلاد.

وسنة الله جارية أن من استخدم نعمه في الظلم سلب منه هذه النعم، ونزع سلطانه، وجعل ما أنفقه على الظلمة والفجرة حسرة وندامة عليه، وأعطى هذا الملك من يقوم بين الناس بالعدل، فدولة العدل تدوم وإن كانت كافرة، ودولة الظلم تزول وإن كانت مسلمة.

«هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولادة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنًا وحكمًا فيهم»<sup>(١)</sup>.

«وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتديرها، فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض، ودينهم يأمر بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض، ويأمر بعمارة هذه الأرض، والانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة ومن رصيد ومن طاقة، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله»<sup>(٢)</sup>.

فهذا مقصد الاستخلاف في الأرض: الإصلاح والعدل والعمارة والانتفاع بكل نعم الله؛ ابتغاء مرضاة الله.

ولقد ابتليت الأمة بصنف من الحكام مكنوا في البلاد بغير رغبة من أهلها، فاستخدموا نعم الله على بلادهم في الاعتداء على أهلها وأذقوهم سوء العذاب؛ حتى جعلت أهل البلد الواحد شيعًا يضرب بعضهم رقاب بعض، وصنف آخر

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٧١.

(٢) في ظلال القرآن ٤/٢٥٢٩.

ثواب الناصرين

أخبر سبحانه وتعالى في كتابه عن ثواب الناصرين لله ولرسوله؛ تحريضاً للمؤمنين بعدهم أن يسلكوا سبيلهم؛ ليحفظوا بمثل ثوابهم.

أولاً: ثواب الناصرين في الدنيا:

الله سبحانه وتعالى يعتني بعباده المؤمنين المجاهدين في سبيله الناصرين لدينه المعينين لرسوله على الأعداء، ولذلك فقد جعل من المقاصد الشرعية للنصر تحقيق ما يحبون وما يكون سبباً في فرحهم: ١. الفرح بالنصر.

جلبت النفس على الفرح بما تحققه من نصر، فحقق الله للمؤمنين ما يفرحون به، وهذا يدل على مزيد عنايته بهم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ [٢] فِي آدَتِ الْأَرْضِ قال: (غلبت وغلبت، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فذكر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: (أما إنهم سيفلبون!) فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ألا جعلتها إلى دون-أراه قال:- العشر!) قال سعيد بن جبيرة: البضع ما دون العشر، ثم ظهرت الروم بعد قال: فذلك قوله: ﴿الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ [٢] فِي آدَتِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ ﴿٣﴾ فِي يَضَعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَبِئْسَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥] (١).

والنصر الذي يفرح به المؤمنون: «يحتمل أن يشار فيه إلى نصر الروم على فارس وهي نصرة الإسلام، ويحتمل أن يشار فيه إلى نصر يخص المؤمنين على عدوهم، وهذا أيضًا غيب أخبر به وأخرجه الوجود إما يوم بدر وإما يوم بيعة الرضوان، ويحتمل أن يشار به إلى فرح المسلمين بنصر الله إياهم في أن صدق ما قال نبيهم من أن الروم ستغلب فارس، فإن هذا ضرب من النصر عظيم» (٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس، ٢٧٢/٤.  
وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.  
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٤١/٥.

المبطلين، ﴿وَتَوْتُبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> فانتصار المسلمين قد يرد بعض المشركين إلى الإيمان، ويفتح بصيرتهم على الهدى حين يرون المسلمين ينصرون، ويحسون أن قوة غير قوة البشر تؤيدهم، ويرون آثار الإيمان في مواقفهم - وهذا ما كان فعلا-، وعندئذ ينال المسلمون المجاهدون أجر جهادهم، وأجر هداية الضالين بأيديهم، وينال الإسلام قوة جديدة تضاف إلى قوته بهؤلاء المهتدين التائبين<sup>(٢)</sup>.

٣. تحقيق ما يحب المؤمنون.

أشار سبحانه وتعالى إلى امتنانه على عباده الناصرين لدينه بإعطائهم ما يحبون في الحياة الدنيا قبل إعطاء نعيم الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا نُصْرًا مِّنَ اللَّهِ وَفَتَحْنَا قَرِيبًا وَبَشِيرًا لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

«والمراد به النصر العظيم، وهو نصر فتح مكة، فإنه كان نصرا على أشد أعدائهم الذين فتنهم وآذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وألبوا عليهم العرب والأحزاب، وراموا تشويه سمعتهم، وقد انضم إليه نصر الدين بإسلام أولئك الذين كانوا من قبل أئمة الكفر ومسايعير الفتنة، فأصبحوا مؤمنين إخوانا وصدق الله وعده بقوله: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنهُمْ مَّوَدَّةً﴾ [المتحفة: ٧].»

وأضيف النصر إلى اسم الجلالة؛ للتبويه بذلك النصر، وأنه عناية لأجل المسلمين<sup>(١)</sup>. فهذا النصر امتنان من الله؛ لإدخال الفرح على المؤمنين.

٢. شفاء صدور المؤمنين وإذهاب غيظ قلوبهم وتوبة الله على من يشاء. من المقاصد الشرعية للنصر في مواضع القتال بين المؤمنين وأعدائهم، شفاء صدور المؤمنين وإذهاب غيظ قلوبهم، وتوبة الله على من يشاء.

قال تعالى: ﴿فَتَلَوْتُمُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَكْشِفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٤)</sup> وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَتَوْتُبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥].

«فإن في قلوبهم من الحق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهجم؛ إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، وزوالا للغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتناقه بأحوالهم، حتى إنه جعل -من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم<sup>(٢)</sup>، بانتصار الحق كاملا، وهزيمة الباطل، وتشريد

(١) التحرير والتنوير ٤٧/٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٣١.

(٣) في ظلال القرآن ١٦١٢/٣.

وقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا لِمَنْ تَعَمَّدَتْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] (١). وفي الآية: الإخبار بالغيب عن المستقبل، وهو من معجزات القرآن.

#### ٤. الفلاح.

مَنْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَعَانُوا رَسُولَهُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ بِجِهَادِهِمْ بِالْفَوْزِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال مجاهد رحمه الله: «عزروه: سدّدوا أمره، وأعانوا رسوله، ونصروه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم» (٢)، أولئك هم الفائزون بالرحمة العظمى والرضوان، دون سواهم من أهل كل زمان ومكان، فمنهم الفائزون بدون ما يفوز به هؤلاء، كأتباع سائر الأنبياء، ومنهم الخائبون المخذولون؛ أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (٣).

وفي الآية: تعظيم فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، ويلحق بهم من نصر دينه بعدهم إلى يوم

(١) التحرير والتنوير ٢٨/١٧٥.

(٢) جامع البيان، الطبري ٤/٤٩٧.

(٣) تفسير المنار ٩/١٩٨.

القيامة.

#### ٥. الثناء عليهم بالصدق.

أثنى الله على المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم ابتغاء مرضاته، ونصرة لله ورسوله بالصدق.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

أي: «هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين» (٤). وفي الآية: الثناء على أهل الصدق ونشر محاسنهم؛ ليقتردي بهم المؤمنون.

#### ثانياً: ثواب الناصرين في الآخرة:

#### ١. المغفرة والرزق الكريم.

مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين نصرُوا دينه وبشرهم بالمغفرة لذنوبهم وبالدرجات العلى من الجنة، ولهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

«آوَأُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٦٨.

والمهاجرين معه، ونصروهم ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقًا - لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوهم - لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، ولهم في الجنة طعام ومشرب هنيءٌ كريم، لا يتغير في أجوافهم فيصير نجوًا، ولكنه يصير رشحًا كرشح المسك»<sup>(١)</sup>.

وفي الآية: استواء المهاجرين والأنصار في النصرة للدين وفي الإيمان الصادق.

### موضوعات ذات صلة:

التمكين، الثبات، الجهاد، القتال، المعية، الهزيمة

(١) جامع البيان، الطبري ١١/٣٠٠.